مقدمة مفاهيم الوسطية

الحالة، والدواعي، والمنهج

أ.د.سيف الدين عبد الفتاح

"المعجم" هو اسم لما تزال به العُجمة؛ والعجمة حالة عدم الفهم للكلام الذي هو وسيلة التواصل بين البشر. فالإعجام هو العجز عن الفهم أو التفهيم؛ ومن ثم يمثل عقبة أمام عمليات التعاطي والتفاعل البشري والاجتماعي. وقد يراد بالإعجام الإبهام وعدم الوضوح، ويقال أيضًا لوضع النقاط فوق الحروف وتحتها؛ أي تنقيط حروف الكلمات؛ لتتمايز أشكالها ومبانيها فتستبين دلالاتها ومعانيها. وقد برز هذا التعبير في التاريخ العربي والإسلامي على خلفية توالي دخول الأعاجم (غير العرب) في الإسلام: ملة وأمة، وتكاثر المولدين من أبنائهم، وما ترتب على ذلك من اختلاط الألسنة وتهديده للعربية الفصحى، ومن ظهور الحاجة إلى تقريب العربية إلى غير العرب وأشباه الأعاجم، الذين يلزم تعليمهم القرآن والحديث وعلوم الإسلام كي يتحقق إسلامهم ويترسخ إيمانهم. فكانت قصة المعجمات اللغوية المعروفة؛ بادئة من معجم العين للخليل فمعجم الأصمعي وإلى اليوم.

ولم تقتصر فكرة "المعجم" في تراثنا على معجمات اللغة العامة، وإنما انصرفت إلى مجالات أخرى وموضوعات مختلفة كمعجمات الحديث والمحدّثين مثل المعجم الكبير والأوسط والصغير لأبي القاسم الطبراني، ومعجمات الرجال (التراجم) في علم الحديث وغيره، ومعجمات العناصر الكيمياوية والأدوية والنجوم والآلات، ومعجمات الجغرافيا والأقاليم كمعجم البلدان للحموي.. الأمر الذي امتدت خيوطه واتسعت آفاقه عبر مسيرة الأمة لتظهر معجمات المفردات والمعاني للقرآن الكريم والحديث الشريف ومعجمات اصطلاحات العلوم والفنون، ومعجمات المجالات المختلفة من السياسة والتاريخ والاقتصاد والفلسفة والاجتماع والقانون وعلم النفس والإعلام والتربية وغيرها.

وقد انبنت الفكرة العامة للمعجمات على مقدمات منطقية متشابهة من المهم محاولة استشفافها، منها:

- ما يشير إليه قول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (سورة هود: 118)؛ ومن اختلافهم الذي قدره الله تعالى اختلافُ ألسنتهم بالمعنيين المضيّق والموسّع والمعنى الأوسط لمفهوم **"اللسان"**؛ وهذه المعاني الثلاثة هي: اللغة واللهجات، والعقل أو المنطق، ثم الثقافات ورؤى العالم. ويتصل بهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (سورة طه: 27-28)، ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم: 4)، فالناس تحتاج إلى الاتصال والتفاهم، وينقلون فيما بينهم أثناء التفاعل والاتصال كلامًا وألفاظًا، ومعلوماتٍ ومفاهيمَ، ورؤى وأفكارًا.. وواجب المتكلم البيان، وواجب المتلقي الاستبيان وحسن حمل الكلام على مراد قائله.. والمنهج (أي وضع الكلمات الخاصة بإزاء معانيها الخاصة) قبل ذلك إليه يُرجع عند الاختلاف؛ لحل عقدة اللسان وتحقيق البيان، ونجاح الاتصال.
- وما يشير إليه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ...﴾ (سورة الرحمن: 29)، ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ (سورة مريم: 59، وسورة الأعراف: 169). ومن تعاقب الأيام والأسلاف والأخلاف يكون قديمٌ وجديد، وقريبٌ وبعيد، وموجود وفقيد،.. من الناس، ومن الأفكار، ومن الألفاظ ومن المعاني. ومن ثم وجب حفظ المعاني على ألفاظها بما يصنّفه ويؤلفه الكُتّاب، كما تُحفظ الصلات بين الأبناء والآباء والأجداد بالأنساب، (تنسيبًا للأفكار والمفاهيم). وكما يضم الجديد إلى القديم بالنظْم والاستيعاب... **من هنا كان لابد من "معجم" يجدّد القديم، ويصل به الجديد، ويكون حَكَمًا يحسم الالتباس، ويزن المقادير، ويضع ما يجد من الأفكار في مواضعه الحقيقة به، يقوِّم ما انحرف، ويحيي ما اندرس، ويواجه**

ما استُحدث بمفاهيم جديدة تتأسس على الأصيل وتنبني عليه وتتشكل من طينته وتخرج من مشكاته وترتبط به ارتباط عروة وثقى لا تنفصم بمقاصدها. ذلك كما جاءت البشرى: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).

- ثم إن غالب الجديد من الناس –لجهالة بالقديم من الأفكار والمفاهيم– عدوّ لهذا القديم من الأفكار والمفاهيم، وبالعكس: فالقديم من العقول والنفوس عادةً ما يعادي الجديد من هذه ويخشاها ويرتاب منها.. وكذلك في خطابات المجالات المتخصصة والنخب المتعلمة يرتدّ الجماهير عنها نفورًا غالبًا لما يعانونه من غرابة مصطلحاتها ودقة تراكيبها اللفظية، أو ربما لما التبس بها من تخصص مبعِد ونحت مغرِب، وربما لما تشتمل عليه بعض الخطابات من زخرف قول أو تسميات للأمور بغير أسمائها التي عهدها الناس...

من هنا وجب دفع الإعجام بالإفهام؛ (ولعل هذا هو ما دفع القرطبي لتأليف "المفهِم على صحيح مسلم" لا "المعجِم"). فثمة عجمة لفظية متجددة؛ هي أقل حالات الإعجام الراهنة خطرًا، تحيط بها عُجمات مفاهيمية وفكرية وثقافية وعادية، وعُجمات نفسية وسياسية وأيديولوجية ومذهبية، حيث دخل الوافد على الأصيل فلربما طرده وحلَّ محله أو شوّشه، أو همّشه، أوشوّهه، أو طمسه، أو قسره على حمْل معانٍ ما ليست فيه، وأكرهه في التأويل والتفسير لتضمينه ما ليس منه، وكثيرا ما استبد الاستعمال الغازي بالاستعمال الأساسي ونكل به حتى خاف الناس استخدام كلماتهم أو التمسك بها، فهجروها وتركوها.

هذه العجمات صارت تملأ حياتنا المعاصرة وتصبغها بصبغة من العشواء والفوضى الاتصالية والتفاعلية؛ لا سيما داخل الأمة. وتتعدد تجليات ذلك في حوارات الطرشان، وحالات التدابر فالإدبار بين المتفاعلين؛ وهي تسبب للراغبين في الفهم –صدقًا وحقًّا– حالة من الحيْرة والاضطراب.

ولعمري إنها لأحوال تتلون وتتعدد، ومواقف إما تتجدد أو تتمدد أو تتبدد، وصار التداول للكلمات والمصطلحات والمفاهيم غامضًا مغمّضًا، بل عمًى وعماء، وعمّ الانفصال وعز الاتصال، وانزوت الأصول وفقد الوصول، فلا عدنا نحسن النظر ولا أن ندقق في التناول، فضلًا عن أن نتحرك صوب التعامل الجدي مع القضية فأبقينا على سوء الاستعمال وألِفنا حال الذي **(ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)**.

من هنا كانت أهمية "المعجم" عبر تاريخنا، وضرورته وخطورة مقامه في لحظتنا الراهنة، فهو لسان العرب الفصيح، يوضح ويبين، أو تاج العروس، يتلألأ ويزين، أو مصباح ينير، أو قاموس يحيط، وفي كل الأحوال هو يقف على البلاغ المرتبط بالبلاغة، والإفصاح المرتبط بالفصحى، والبيان المرتبط باللفظ والمعنى.

هذا، و"المعجم المفاهيمي" معجم ذو خصوصية تناسبه وتميزه؛ خصوصية نابعة من طبيعة ما نسميه اليوم بـ"**المفهوم**" التي تختلف عن طبيعة "المصطلح" من جهة وعن طبيعة "الكلمة العادية" من جهة أخرى. **فالمفهوم** –بالمعنى السائد في العلوم الاجتماعية والإنسانية وفي الثقافة الراهنة– يقع بين المصطلح المتفق على معناه والمعرف بالحد أو بالرسم، وبين الكلمة العادية التي تخرج عن قوالب الاصطلاح العلمي ويستعملها الناس استعمالًا غير مخصوص ولا متخصص.

وعلى الرغم من أن الكثير من الكلمات التي وردت في المعجم لها معانيها الاصطلاحية في علوم وفنون إسلامية مستقرة، لكن الحالة الراهنة التي يتم فيها تداول هذه الكلمات والتساجل أو الحوار بشأنها، وما تجدد لها من جراء الاستعمالات المختلفة من دلالات مستجدة ومن ظلال تحيط بدلالاتها الأولية، هذه الحالة تدعو لإعادة الاقتراب من هذه من مثل هذه المصلحات من زاوية "التحليل المفهومي"؛ أي بوصفها أصبحت أكبر من أن ينتهي تناولها بمجرد استرجاع ما صك لها من تعريف جامع مانع. وإن كان استبقاء هذه التعريفات والاستناد إليها في عمليات المراجعة من الضرورة بمكان.

ومن جهة أخرى، تتبدى خصوصية أخرى للمعجم المفاهيمي. فإذا كانت معجمات المفردات اللغوية قد نُظمت بناظم الحروف، ومعجمات المصطلحات الفنية في كل علم قد نُظمت بنواظم أغلبها شكلية، فإن المعجم المفاهيمي يتأبىَّ على النظْم الشكلي، ويفرض **–بطبيعته التي يطغى عليها الجانب الدلالي والمعنوي–** إلا أن يكون النظْم دلاليًّا ووفق شبكة تراعي المكونات والعلاقات والعمليات والوَسَط الذي يتردد فيه المفهوم: إلقاءً وتلقيًا.

لماذا معجم مفاهيم الوسطية (الدواعي والدوافع الخاصة):

و"الوسطية" –مفهومًا ومنظورًا وما يدور في فلكها وتحت ظلالها من مفاهيم– أحوج ما تكون لهذا المعجم؛ أثرًا عن عدد من الأحوال الضاغطة بأفرادها وجملتها؛ نذكر منها:

أولها– أثر حالة الاستقطاب بين التيارات الفكرية والأيديولوجية والسياسية الراهنة في أمتنا، والتي تجعل "الوسطية" –مفهومًا ومقولةً وشعارًا– محلَّ اتهام بالتلفيق أو المداهنة أو عدم الوضوح أو اللعب على الطرفين، أو الإمساك بالعصا من "**الوسط**"، أو هي تمييع للحقائق وتضييع للقضايا، أو هي في أحسن الأحوال جمع بين متناقضات وترقيع.

ثانيها– أثر حالة المصاب العام بالهجمة الحضارية على مقدرات الأمة المادية والمعنوية والاحتلال للأرض والعقول والانتهاك لحدود الأمة وحرماتها؛ بما يجعل "**الوسطية**" وترديدها في هذا السياق مظنة "**التبريد**" لما ينبغي أن يلتهب من حماس وغضب مشروعيْن، أو مظنة مداهنة المعتدين وتثليج قضايا الأمة الساخنة أو تجميدها .. إلخ، ما يتردد من ذلك لدى قطاعات من الأمة.

ثالثها– أثر حالة "التداعي على الوسطية" بالدعوى والادّعاء.. فكّل يدّعي بها وصلًا، ويرى نفسه لها أهلًا ومحلًا، ويدعي أن الغلو وبالتفريط أو الإفراط هو في الآخرين، في ظل افتقاد للمعايير الكاشفة والفارقة والبانية والمبيّنة؛ وبحيث تقف مقولة "الوسطية" عند حدود الشعارات والزينة التي تواري حقائق اللبس والانحراف، دون أن تتحرك صوب المستوى المنهجي الذي يقوم فيه الوسطية مقام الرؤية المتكاملة والمنظور العلمي البيّن والمبين، ودونما أية عناية بشأن اختفاء الوسائط الواصلة وتهميشها بين مقصد وآلية ووسيلة، وبين هدف وأداة. فعلم الوسائط من صحيح الوسطية التي لا تجعل منها تجريدًا بل: حالة تتحقق، وموقفًا يتحدد، وعملية تتجدد وتتمدد.

رابعها– وهو متصل بسابقه: أثر حالة "الدعوة المسمومة" إلى "**الوسطية**" من غير أهلها؛ أي من قبل قوى طغيان أو عدوان في الداخل والخارج، كما نشاهده من تقارير خاصة في الغرب عن الإسلام الوسطيّ (الموديريت moderate) باعتبار هؤلاء الوسطيين المشار إليهم صفًّا في جبهة الحرب على الإرهاب والتطرف (الإسلامي!).

إذن، والحال هذه، فقد صارت **مفاهيم الوسطية، أو الوسطية وأخواتها،** وسائر مفاهيم الحالة الحضارية والثقافية الراهنة من المعجمات التي تاهت في شأنها الأمة "**الوسط**"، والتبست فيها الأمور "**الأواسط**"، وغابت عن أداء الفريضة "**الوسطى**".. إذ هي –في آنٍ واحدٍ– متهمة بل مدانة، ومحل ريب وعيب، وموضع تنازع واستباق عليها، ومحلّ رفض ومقاومة لدعواها .. كل ذلك في آن واحد.. فَلأَنْ يُنفق نصف طريق النهوض والتجديد في "**إفهام الأنام وسطية الإسلام**" وبناء "**المعيار الفاصل بين وسطية الحق ووسطيات الوهم والباطل**"... لكان أولى وأحقَّ.

ذلك، ويُعد هذا **المعجم المفاهيمي عن الوسطية** وما يحيط بها من مفاهيم مقدمة ضرورية، وتُفيد في سائر أنشطة مراكز الدراسة والبحث والتوجيه العلمي والفكري، سواء الأنشطة البحثية أو التدريبية أو التواصلية (قضايا الحوار والندوات والمؤتمرات

المختلفة) حيث يقدم –مثلًا– مرجعًا أساسيًّا للدورات التثقيفية والتدريبية المتعلقة بمجال "الوسطية" وقضاياه وإشكالاته، باعتباره دليلًا أساسيًّا للمدرب والمتدرب على حدّ سواء.

كما أنه يشتمل على إشارات إلى الأجندة الاستراتيجية الأجدر بالتناول البحثي من قبل مؤسسات الأمة المعرفية والباحثين في مجالها.

ومن ناحية ثالثة، فإن هذا المعجم يقدم مادة جيدة يستفيد منها كلٌّ من واضعي المساقات الدراسية المتعلقة بالمفاهيم وبمنظور الوسطية (حيث يوجهه إلى المناطق الأوْلى بالتركيز)، ودارسي هذا المساقات (باعتباره يقدم مادةً أساسية تعريفية وتعليمية ونموذجًا تدريبيًّا رائدًا).

وفي هذا، يشار إلى أن هذا العمل **يعدّ عملًا إبداعيًّا إنشائيًّا؛ إذ لا يتوافر فيما بين أيدينا عملٌ مسبق بهذا المعنى والمنهج يتغيّا تخصيص مفهومٍ معين ببناء معجمي خاص**؛ ومن ثم فهو سابقةٌ مهمة يقاس عليها ويستفاد من نموذجها في مفاهيم حضارية وإسلامية أخرى، وإن كان ذلك لا يغني عن الحاجة إلى المراجعة والتقويم والتصحيح المستمر.

وعمل المعجم ليس كعمل الموسوعة، فإن المعجم بما يحدده من أهداف مباشرة يتغيا عدة أمور تشكل حزمة من اهتماماته ومنظومة من إمكاناته ومفرداته.

والخلاصة: أن هذا كتاب يهدف إلى ما يلي:

1- تحقيق الفهم الصحيح لـ"**الوسطية**" –مفهومًا ومنظورًا– وما يحيط بها من مفاهيم أساسية أو فرعية أم ملتبسة، وذلك من رؤية إسلامية حضارية، تنطلق من ثوابت الأصول، وتتحرك في المتغيرات بمنهجية واضحة.

2- إزالة الالتباس والغموض والشبهات المثارة حول حزمة من المفاهيم الأساسية وبيان مواقعها من السياق الواقعي الراهن للأمة الإسلامية، وموقف الرؤية الوسطية الحضارية من التحديات الداخلية والخارجية وأنماط الاستجابات الواعية والمكافئة لها.

3- الانتقال بمفهوم **الوسطية وَوَسَطِه** المفاهيمي إلى التفعيل في الواقع الفكري والثقافي والعلمي، بحيث تتحقق دلالته الصحيحة وتتفاعل مع المفاهيم الأخرى تفاعلًا يصبُّ في عافية الأمة.

4- الإعداد لتفعيل منهجية الوسطية العلمية في حقول العلم والمعرفة، باعتبارها تقوم على رؤية معينة للعالم ومنظور للعلاقات بين عموم الناس، وتقدم إطارًا للتحليل والتفسير للقضايا والظواهر، تلتقي فيه القيمة مع الحقيقة، والمقاصد مع الموضوع.

5- بث "**الوسطية**" –روحًا وثقافةً– في التفاعل والتعامل الواقعي بين قطاعات المسلمين وفي علاقاتهم مع غيرهم؛ باعتبار شبكة هذه المفاهيم توفر منهجَ تعامل فعالًا وسلوكًا حضاريًّا راقيًا.

6- جمع نموذج معبر من المفاهيم الكبرى المتعلقة بالوضعية الفكرية والحضارية للأمة في الوقت الراهن، والمفاهيم المتفرعة والمتولّدة عنها، وكذلك المفاهيم الحضارية التي يتراءى فيها معنى الوسطية شاغلًا لها ومُشغِّلًا فيها، مع بيان منهجية للنظْم والتشبيك بين المتشابهات من جهة، وللفرق والتمييز بين المختلفات من جهة أخرى، تضبط الحالة اللامنهجية في التعامل مع عالم المفاهيم التأسيسية والحضارية ومفاهيم الموقف والقضايا والعلاقات والسجالات.

الوسطية منظورًا ومنهجية:

وفي إطار منهجية هذا العمل روعي أهمية أن تنعكس أسس المنظور الحضاري العلمي بأبعاده الوجودية والمعرفية وخصائصه الواقعية القيمية، خلال عملية بناء المفاهيم وتناول الموضوعات والأفكار الواردة بالمعجم وتصنيفها.

وتحفل منهجية العمل في هذا المعجم ببعض الجهد التنظيري الذي قدمته القريحة المسلمة[1] بصدد "عملية بناء المفاهيم وإعادة بنائها"، والأسس التي تقوم عليها والإجراءات التي تسير بها، مع العمل على تطوير ثمرات هذه الجهود من خلال التفاعل معها وفيما بين رؤى الباحثين المشاركين في هذا العمل. كما يمكن رؤية هذه المنظومة الشبكية المكوَّنة لمعجم مفاهيم **الوسطية** باعتبارها تحقق أبعاد منهاجية مستفادة من طرح **"توماس كون"** وخماسيته الشهيرة في كتابه "بنية الثورات العلمية":

- ذلك بتحديدها للمفاهيم الحضارية الكبرى المنضوية في **"الرؤية الكلية للعالم"** وفق النموذج المعرفي الحضاري الإسلامي،
- وتقديمها أُطرًا مفاهيمية تحليلية وتفسيرية تسهم في حل إشكالات الواقع الأكاديمي والعملي،
- وحيث تجعل من الوسطية حالة مفعلة وعملية مستمرة ومطبقة في واقع الأمة وعلاقاتها وتحدياتها وفي مجالاتها المعرفية المختلفة المتعلقة بعلوم الأمة وعمرانها،
- ومن ثم تمد الباحثين في المجال الحضاري: بأجندة بحثية تتضمن الإشكالات الأجدر بالتناول.

وفي إطار منهجية العمل والتحرير، تم التوجيه إلى ضرورة استيفاء العناصر المنهجية التالية في كل مفهوم:

أ. حالة المفهوم أو الحالة المفاهيمية المتعلقة به.

ب. الدواعي الدافعة لبناء المفهوم.

ج. ذاكرة المفهوم.

د. وسط المفهوم.

هـ. الشبكة المفاهيمية: أي ربط المفهوم بالمفاهيم التي تقترن به وتوضحه –ولو على سبيل الإشارة توضح الإحالات وتظهر التساند بين حزم المفاهيم ومنظوماتها المختلفة.

و. الصلة بالوسطية: بضرورة ربط المفهوم بالوسطية وتسكينه ضمن منظومتها.

ز. تفعيل وتشغيل المفهوم في الفكر والواقع ومطالب الإصلاح.

وفي إطار هذه الرؤية الكلية لمعجم الوسطية، فإن هذا التناول المنظومي يفرض علينا أن نصنف عالم مفاهيم الوسطية التي تكون موقفًا واعيًا وبصيرًا، وحالة تربوية رصينة، وعملية مستمرة ضمن آليات ووسائل مكينة. ومن ثم فإننا نصنف هذا المعجم إلى **فئات ست**؛ لتؤصل رؤى الوسطية في هذا المقام:

أولًا– مفاهيم رؤية العالم وتشمل:

---

[1] – يشار في هذا إلى عدد من الأعمال الرائدة العامة والخاصة بمفهوم الوسطية ومنظورها، منها على سبيل المثال:

– علي جمعة محمد وسيف الدين عبد الفتاح (إشراف) بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، تقديم: أ.د.طه جابر العلواني، جزءان، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1418هـ/1998م).

– أ.د. سيف الدين عبد الفتاح، التربية المدنية،

– مدارسة الوسطية، المركز العالمي للوسطية،

1. العقيدة
2. التوحيد
3. الإنسان
4. الاستخلاف
5. العبادة
6. العمران
7. الزمن والمستقبل
8. الهوية

ثانيًا– مفاهيم التأسيس، وتتضمن:

1. المرجعية
2. الشريعة والتكليف
3. نظام القيم
4. العدل
5. الحرية
6. المساواة
7. المقاصد
8. السنن
9. الأمة
10. الأسرة
11. المسئولية
12. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثالثًا– المفاهيم الحضارية الكبرى وتضم مجموعة من المفاهيم أهمها:

1. الحضارة والثقافة
2. المعرفة والعلم
3. التراث
4. الفكر
5. الاختلاف
6. التعددية الحضارية (والتعارف والتدافع)
7. الدعوة

8. التجديد
9. الاجتهاد
10. التغيير
11. السياسة والاجتماع

رابعًا– مفاهيم الموقف:

وهي التي فرضتها عمليات التفاعل الحضاري والظواهر التي حدثت وأثرت على مجتمعات وعلاقات المسلمين بينهم وبين بعضهم البعض، أو بينهم وبين غير المسلمين من تجمعات ودول، سواء تعلق الأمر بمفاهيم فكرية، أو مفاهيم هي ألصق بالواقع وتؤثر فيه، ومن أهمها : .

1. المعاصرة
2. العلمانية
3. الديمقراطية
4. الدولة القومية
5. الرشادة والحوكمة
6. الآخر
7. الأقليات
8. المجتمع المدني
9. حقوق الإنسان
10. الأمن الإنساني
11. المؤسسية
12. الاستشراق

خامسًا– مفاهيم القضايا المحورية:

وتقترن بالفئة السابقة جملة من المفاهيم المركبة التي تشكل **قضايا محورية** استحقت من هؤلاء الذين ينظرون في الفكر الإسلامي قدرًا من التأصيل والتفعيل والتشغيل في إطار بيان يجمع بين منهج النظر ومنهج التعامل، ومنهج التناول، وأهمها:

1. الشرعية
2. المصلحة
3. النهضة
4. التنمية
5. الواقع وفقه الواقع
6. السلف والسلفية

7. الغلو والتطرف والعنف
8. الإرهاب
9. ثقافة السلام
10. التكفير
11. الحاكمية
12. الوحدة والتقريب

سادسًا– تفاعل ضمن هذه التصنيفات المختلفة وتولدت عنها في إطار الحوارات الفكرية والجدل السياسي مفاهيم يمكن تسميتها **بمفاهيم العلاقات:**

وهي التي اتخذت غالبا شكل ثنائيات إما مقارنة، وإما متناقضة، وإما افترض من أثارها أن يحدث تصارعا بين تلك المفاهيم على الرغم من تكاملها وتراحمها، وفي هذا السياق وجب أن يكون هناك موقفا وسطيا يقدم رؤية أصيلة ورصينة، تعبر عن حقائق التدافع المفاهيمي، والتكافل بين ثنائيات مفاهيم متزاوجة، سواء برزت هذه الثنائيات ضمن تعبيرات بعضها قديم، وبعضها مستحدث،ومن أهم نماذج هذه الثنائيات:

1. الوحي والعقل
2. الدين والعلم
3. الأصل والعصر
4. الديني والسياسي
5. الإصلاح والفساد
6. الشورى والاستبداد
7. الجهاد والسلام
8. العولمة والعالمية والخصوصية

ضمن هذه الفئات الست تتشكل منظومة كلية لمفاهيم الوسطية في سياق عمل هذا المعجم؛ لتكوين وتأصيل رؤية كلية تحدد المواقف، وتبين الرؤى، وتمكّن للحالة الوسطية في واقعنا الفكري والعملي، ضمن الإعمال التربوي والحضاري لمقتضيات مفهوم "الأمة الوسط" باعتباره ناظمًا بين هذه المفاهيم جميعًا.

ومن الجدير بالذكر أن عمليات اختيار هذه المفاهيم لا تعني استيفاءها جميعًا، ولكن تم الاختيار والانتقاء وفق أولويات علمية ومنهجية؛ بما يقدّم في النهاية نماذج تفعيلية وتشغيلية، وليست كل المفاهيم القابلة للتشغيل.

ومن ثم فقد تم تكوين فريق عمل متكامل يقوم على هذه المنظومة السداسية ضمن عمل ينسق بين هذه الفئات جميعًا؛ وذلك استنادًا إلى مدخل "الحزم المفاهيمية"، أو "عائلات المفهوم"، أو "شجرة المفاهيم"، أو "الشبكة المفاهيمية" القادرة على التأصيل والتمكين للوعي والسعي، في إطار يجعل من الوسطية مسلكًا وموقفًا ورؤيةً ومسارًا.

وعليه تم **تقسيم الكتاب يشتمل على ما يلي:**

- **مقدمة: الحالة، الدواعي، المنهج:** وتتضمن بيان مدلول المعجم وأهميته، ودواعي إنشائه، وبيان منهاجية بناء المفاهيم.
- **المحاور الستة التي تتضمن منظومة المفاهيم المذكورة اعلاه.**

وبالنظر إلى أداء الباحثين، ومع كونهم شكلوا فريق عمل متكاملًا، ومع غلبة الالتزام الواعي منهم بالمحددات المنهجية المعمول بها في تحليل المفاهيم وإعادة بنائها ضمن شبكاتها ومن منظور الوسطية الإسلامية، فقد تنوعت بينهم المداخل ونقاط الارتكاز وزوايا النظر، وقدم كثير منهم اجتهادات جيدة في تكييف المفهوم وتشييد لبناته.

فلقد أدخل أكثرهم مقدمات تتعلق باللغة والقواميس العربية والأجنبية على تناولاتهم، وحرص الأكثرون في بيان الحالة المفاهيمية إلى بيان التراوح بين واقع المفهوم في كل من الفكر الغربي والفكر العربي والإسلامي، واصلين بين قديم هذه الحالات المفاهيمية وحديثها بشكل جيد. وفيما غلب التناول البحثي والفكري القريب على النتاج العام، فقد اتجه عدد قليل من الباحثين وجهة فلسفية عميقة سواء بالرصد أو النقد أو تشييد الرؤية (سناء البنا، هبة السيد، نورهان عبد الوهاب).

كما لوحظ أن عددًا من الباحثين من ذوي الخلفية الشرعية (خالد عمران، مختار محسن، أحمد خلف) قد ركزوا على تحليل المعاني اللغوية والدلالات الاصطلاحية للمفاهيم في علوم الشرع كالفقه والأصول، وتجلت عندهم النزعة التأصيلية الشرعية، الأمر الذي لم يحل دون إبرازهم لاهتمام قوي بالحالة الفكرية والواقعية المتصلة بالمفاهيم محل دراستهم، كما أنهم عبروا بلغة علمية وفكرية واضحة لا يمكن وصفها بالتراثية بحال من الأحوال. ومن هنا صح توجيه المفاهيم الأدنى للمجالات الشرعية إليهم من قبيل مفاهيم كالدعوة والوحي والعقل والعبادة والتكفير والشريعة والتكليف، والتي توزعت على المحاور المفاهيمية الستة.

وفي المقابل بدت محاولات جادة وموفقة من الباحثين ذوي الخلفية الاجتماعية والإنسانية للتعرض للأصول اللغوية والقرآنية والحديثية والتراثية للمفاهيم، بالإضافة إلى براعتهم في النظرة المقارنة لا سيما مع مفاهيم حضارية تتعلق بالموقف الحضاري والسجالات الفكرية والقضايا المستجدة.

ومما يلاحظ في هذا الصدد –ويمثل جانبًا إيجابيًّا مهمًّا لهذا العمل– تقارب التناول بين فئة المتشرعين وفئة دارسي العلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل ملفت؛ الأمر الذي قد يعزى إلى التقائهم وتواصلهم عبر العديد من المنتديات والملتقيات الملموسة بالنسبة لنا، أو إلى حالة صاعدة من الشعور بالاحتياج المتبادل من أجل بناء نوع من "الاعتماد المعرفي المتبادل" بين الفريقين في ظلال البحث عن منهجية معرفية متكاملة الأركان والشروط.

واتسم الأداء كذلك بالتوثيق الجيد وتنوع المراجع وإن وجد نحو من خمسة مفاهيم جرى تلخيصها من مرجع واحد أو اثنين (ثقافة السلام، الأمن الإنساني، النهضة، الحضارة والثقافة، والمدخل المقاصدي). وكان أكثر الاعتماد على الكتب بقدر معقول بحيث تتوسط التناولات فلا تكون مجرد تقرير كالتقارير الإخبارية أو عروض الكتب، ولا تصل إلى أن تكون دراسة مستقلة، بل تجتهد أن تقدم نموذجًا للتناول المنهجي والتكامل المنظومي. ومن ثم تقاربت أحجام الأوراق، ودارت غالبيتها حول القدر المعقول (سبع صحائف في المتوسط = نحو 2500 كلمة في المتوسط) بلا إسراف ولا تقتير، ولا تطويل ولا تقصير.

أجاد أكثر الباحثين التعامل مع قضية الشبكة المفاهيمية وأشاروا إلى المتصلات والأشباه والنظائر والمفاهيم الأضداد والنقائض، وطرحوا بجلاء علاقة المفهوم بالمنظور الحضاري الوسطي والرؤية الإسلامية والأمة في واقعها الراهن؛ مما أسهم في إضفاء روح حية على التناول العام.

ومع كل هذا فإن هذا العمل لا يعدو كونه محاولة أولية لتلمس السبيل باتجاه التناول والتعامل الجاد مع مفاهيم الأمة والحضارة والعلوم والفنون الإنسانية الحاضرة؛ على أساس أن هذا الامر من ضرورات الوصل بين العصر والأصل، وبين الحاضر وامتداديه: الجذور والذاكرة والمنابع الأصلية، والمستقبل حيث الأمل الفسيح والابتلاء الحضاري الممتد. ومن ثم فلم يسلم العمل من كثير مما يمكن أن يؤخذ عليه وتتناوله أنظار النقد والتنقيح والتصحيح.

لكنه على كل حال مبادرة جديرة بالدراسة والنقاش حولها والاستفادة من نواقصها وفضائلها معًا؛ في سبيل النهوض بتصنيف كثير من معجمات المفاهيم المطلوبة والمهمة، والتي يتجاوز التناول العلمي فيها سمات العشوائية والسطحية والاستسهال، والتقول بغير علم، والاكتفاء بالقليل غير المجزئ ولا الكافي، فضلًا عن تناول المفاهيم بالبلع أو باعتبارها معلبات جاهزة لا نعرف سر صنعتها، ما علينا إلا استعمالها حتى تنتهي صلاحيتها، أو التناول المستريح الذي لا يزال يستعمل المفاهيم المطروحة في ساحتنا الفكرية بنفس مضامينها القديمة دون التفات إلى ما لابسها والتبس بها في العقل المعاصر من شبهات وأغاليط.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى **الأستاذ الدكتور عصام أحمد البشير– الأمين العام لمنتدى النهضة والتواصل الحضاري**، الذي قدم كافة الدعم المعنوي والفكري والمادي والأخوي لهذا العمل، ولولا ما من الله تعالى به عليه من أناة ومثابرة ما كان لمثل هذا العمل أن يرى النور.

والشكر موصول لكل من أسهم في إخراج هذا المعجم، من الباحثين الشباب، وفريق الإدارة في مركز الحضارة للدراسات السياسية وعلى رأسه **العالمة الفاضلة الأستاذة الدكتورة نادية محمود مصطفى– مدير المركز**، والله نسأل أن ينفع به.